فل ٢: ٦-١١

"وأخلى ذاته": المسيحُ مثالٌ للمؤمنِين

الأخت دولّي شعيا
مُجازَة في علم الكتاب المقدّس

مقدّمـــة

إذا كانت قوّةُ نصٍّ ما تكمُنُ في عدد الكتابات التي تدور حوله، فإنّ فل ٢: ٦-١١ يُحسب من النصوص الأكثر جاذبيّة في العهد الجديد، إن كان للبحث العلمي أو للتأمّل اللاهوتي على السواء. رأى العديد من العلماء في هذا النصّ نشيدًا ليتورجيًّا قديمًا استعمله بولس وعدّله بشكلٍ متقارب، وذلك بسبب ندرة المفردات المستعملة في النصّ والأوزان الشعريّة الكثيفة[١]. لكن تسميته "نشيدًا" لا تخلو من الالتباس، لأنّه لا يمكننا أن نؤكّد إذا كان هذا النشيد قد استُعمل في الليتورجيا أم لا، وذلك لأنّنا لا نعلمُ الكثير عن أناشيد الجماعةِ المسيحيَّةِ الأولى. لكنَّ الموازاة والتضامين في المقاطع من حيث تركيبها تجعل من نوع النصّ الأدبي نشيدًا، لا بل مديحًا للمسيح[٢]. فماذا يريد أن يبيّن الرسول بولس من خلال استعمال هذا النشيد؟ ولماذا في هذا الموقع من الرسالة إلى أهل فيليبّي؟

١. تحديد النصّ

يُحدّد العديد من الشرّاح بداية هذا النشيد في آ ٥. لكن إذا أخذنا بعين الاعتبار التغيير اللغوي والأسلوبي والانتقال من نوعٍ أدبيّ إلى آخر، نجد أن النشيد يبدأ في آ ٦. في آ ٥ يُرشد بولس أهل فيليبّي متوجّهاً إليهم بالكلام (المُخاطب الجمع)، أمّا في آ ٦ فيبدأ بالتكلّم عن المسيح (الغائب المفرد) دون أن يشير إلى أيّ أشخاصٍ آخرين غير المسيح والآب ومن سيسجد للابن بشكلٍ عام دونَ تحديد. بين الآيتَين ٥ و٦ هناك انتقال من الأسلوب الإرشادي بصيغة الأمر إلى الجمل التي يتراكم فيها اسم الفاعل واسم المفعول. هذا الانتقال من أسلوب الحضّ إلى الإلقاء الشعري يبدأ نوعًا أدبيًا آخر هو "النشيد". إذًا يبدأ هذا النشيد في آ ٦ وينتهي في آ ١١.

٢. بنية النصّ

أ. وهو لمّا كان في صورة إله، ما حسب مساواتَهُ للهِ غنيمة بل أخلى ذاته، مُتَّخذًا صورةَ عبدٍ (δοῦλος) (٦-٧ب)

ب. لمّا كان في شبه الناس، وظهرَ في مظهرِ إنسان، واضعَ ذاته، مُطيعًا (ὑπήκοος) حتّى الموت، الموت على الصليب (٧ج-٨)

ب'. فللذلكَ رفعهُ الله جدًّا (ὑπερύψωσεν) ووهبهُ الاسمَ الذي يعلو (ὑπερ) كلَّ اسمٍ (٩)

---

(١) نذكر منهم:
E. LOHMEYER, *Kyrios Jesus*, Eine Untersuchung zu Phil. 2,5-11 (SHAWPH 1927-28.4; Heidelberg 1928).
(٢) Cf. F. BIANCHINI, *L'elogio di Sé in Cristo*. L'utilizzo della περιαυτολογία nel contesto di Fil 3,1-4,1 (AnBib 164; Roma 2006) 231.

أ. لكي تجثو باسمِ يسوع كلُّ رُكبةٍ من في السماءِ وعلى الأرض وتحتَ الأرض، ويعترفَ كلُّ لسانٍ أنَّ يسوع المسيح هو الربّ (κύριος) لمجدِ اللهِ الآب (١٠-١١)[٣]

تشكّلُ الآيات ٦-٨ تباينًا مع الآيات ٩-١١؛ فالآيات ٦-٨ تبيّن مبادرة المسيح في حركةٍ تنازليّة تبدأ بالتجسّد وتقوده إلى الموت على الصليب، دون أن يعطى له أيُّ اسمٍ أو لقب. هذا الواقع يدلّ على اقترابِ المسيح المستمرّ من الإنسان، من مصير الإنسان المُذَلَّل. أمّا الآيات ٩-١١ فهي تمثّل مبادرة الله، المعاكِسَة لمبادرة المسيح التنازليّة[٤]، بحركةِ إعلاءٍ تصاعديّة تبيّنُ هويّة المسيح الثابتة والنهائيّة، لأنّه يحصل على اسمٍ (ووهبه الاسم الذي يعلو كلّ اسمٍ) وَلَقَب (ويعترفَ كلّ لسانٍ أن يسوع المسيح هو الربّ)[٥].

٣. تفسير النصّ

٣. ١ مسار المسيح التنازلي (آ ٦-٨)

تشكّلُ الآيات ٦-٧ب وحدةً في ذاتها وهي تقومُ على تباينٍ بشكلٍ متوازٍ. ليس هذا وحسب، إنّما يمكننا أن نلاحظ أيضاً موازاةً بين الآيات ٦-٧ب والآيات ٧ج-٨ على الشكل التالي:

٦-٧ب	٧ج-٨
وهو لمّا كان في صورة إله (μορφῇ Θεοῦ)	لمّا كانَ في شِبهِ النّاس (ὁμοιώματι ἀνθρώπων)
ما (ου) حسب مساواته لله (ἴσα Θεῷ) غنيمة	وظَهَرَ في مظهَرِ إنسان (ὡς ἄνθρωπος)
بل (ἀλλά) أخلى ذاته (ἑαυτὸν ἐκένωσεν)	واضعَ ذاتهُ (ἐταπείνωσεν ἑαυτόν)
متّخِذاً صورة عبدٍ (μορφὴ δούλου)	مُطيعاً (ὑπήκοος) حتّى الموت، الموت على الصليب

ما يلفت الانتباه في هذه المقارنة بين الآيات هو صياغة الجمل؛ فالنص لا يقول: "الذي كان إلهًا أخلى ذاته من الألوهة وصار إنسانًا"، إنّما المسيح الذي لم يُرد أن يُعَظَّم كإله، اختار أن يكون في "شبه الناس"[٦]. في الآيات ٦-٧ب يظهر تخلّي المسيح عن مجده الإلهيّ المعبَّر عنه بالتناقض: "صورة إله" (آ٦) و "صورة عبد" (آ٧ب). وفي الآيات ٧ج-٨ يظهر التدرّج التصاعدي نحو الإخلاء التامّ على الصليب.

٣. ١. ١ الإخلاء (آ٦-٧ب)

فسَّرَ آباء الكنيسة الآيات ٦-٧ كتعبيرٍ عن تجسّد المسيح إلى أن أتى عصر القدّيس أمبروسيوس والآباء الذين أتوا بعده وفسّروا هذه الآيات كوجود المسيح الأزلي في حضن الآب[٧]. لكن بولس هنا في إرشاداته إلى أهل فيلبّي لا يشير إلى المسيح الأزلي، بل إلى المسيح الأرضي المتجسِّد الذي احتضن إنسانيّتنا بالمحبّة والتسامح. لذلك

(٣) Cf. J.-N. ALETTI, *Saint Paul, Épître aux Philippiens*. Introduction, Traduction et Commentaire (EB 55; Paris 2005) 145.

(٤) Cf. R. J. KARRIS, *A Symphony of New Testament Hymns*. Commentary on Philippians 2: 5-11, Colossians 1: 15-20, Ephesians 2: 14-16, 1 Timothy 3: 16, Titus 3: 4-7, 1 Peter 3: 18-22, and 2 Timothy 2: 11-13 (Collegeville, Minnesota 1996), 43.

(٥) إنّ الترداد في النصّ ليبيّن هذا الواقع: الاسم (٣ مرات) و يسوع (مرّتين).

(٦) يُلاحظ في صياغة الجمل التعابير التالية: "صورة إله" (آ٦أ)؛ "صورة عبد" (آ ٧ب)؛ "شبه الناس" (آ ٧ج)؛ "مظهر إنسان" (آ ٧د).

(٧) Cf. J. HERIBAN, *Retto φρονεῖν e κένωσις*. Studio esegetico su Fil 2,1-5.6-11 (LAS; Roma 1983) 221.

يدعو بولس المؤمنين هنا إلى التشبّه بالمسيح إلى أن يُصبح مساره مسارهم الحياتيّ، بعدما قال لهم في ٢: ٥: "ليكن فيكم من التفكير ما في المسيح يسوع".

ἐν μορφῇ Θεου، "في صورة إله": يُطلقُ التعبير اليوناني μορφή[٨] "صورة" على الكائن البشري ويفترض وجودًا جسديًّا. لكنّه لا يعني المنظر الخارجيّ فقط، بل الصفات التي يمكنها أن تعبّر عمّا في الجوهر غير المنظور[٩]. لكن ما يحدّد معنى هذا التعبير ليس الخلفيّة العبريّة أو اليونانيّة للمفردات، بل النصّ نفسه من خلال الترداد الذي يعبّر تدريجيًّا عن التغيير الذي أراده المسيح لنفسه: من مجد الألوهة إلى اتخّاذ جسمٍ في شبه إنسان. بكلمةٍ أخرى، إنّ التعبير "في صورة إله" يتبعه ما يقابله "صورة عبد" بصورةٍ مضادّة، وهذا الأخير يُكَمّلُ بدوره من خلال التعابير "في شبه الناس" و"مظهر إنسان" التي تعبّر عن التنازل التدريجي. إذًا التعبير "في صورة إله" يدلّ على الحالة الإلهيّة للمسيح المتجسّد.

οὐχ ἁρπαγμὸν ἡγήσατο τὸ εἶναι ἴσα θεῷ، "ما حسب مساواته لله غنيمة": إنّ الآية لا تعني أنّ المسيح خسر مساواته مع الله، أو أنّه تخلّى عن ألوهيّته، بل لم يُرِد أن يستَغِلّها[١٠]. فما يريد أن يطرحه بولس هنا ليس طبيعة المساواة بين الآب والابن إنّما الإقرار بالمجد والسيادة اللذين تتمتّع بهما الألوهة، ولكنّ المسيح لم يغتنمهما. ما يؤكّد ذلك أداة النفي οὐκ، "لم" التي تعدّل الاسم وليس الفعل الذي يتبع الاسم[١١]. هذه السيادة التي لم يُرِد المسيح أن يغتنمها هي نفسها التي يعطيه إيّاها الله الآب بعد إعلائه: "ويعترفَ كلُّ لسانٍ أنّ المسيح هو الربّ (السيّد)".

ἀλλὰ ἑαυτὸν ἐκένωσεν μορφὴν δούλου λαβών، "بل أخلى ذاته متّخِذًا صورةَ عبدٍ": حالة الإخلاء هذه تذكّر بالنشيد الرابع لعبد يهوه المتألّم (أش ٥٢: ١٣–٥٣: ١٢) حيث التنازل والإعلاء. إذا كان المعنى نفسه عند أشعيا يُطبّق على فل ٢: ٧أ، فالإخلاء (ἑαυτὸν ἐκένωσεν) هنا يُشير إلى الموت الذبائحي وليس إلى التجسّد. لكن هذه الآية تُشير بشكلٍ واضح إلى التجسّد، لأنّه بدون التجسّد لا تجد استعارة "الإخلاء" κένωσις معناها[١٢].

أبعد من التحيل اللغوي النحويّ والبلاغي، تهدف الآيات ٦–٧ب إلى تبيان المسيح كمثلٍ للمؤمنين.

---

(٨) إنّ المعاني التي تُعطى لهذا التعبير لكثيرة، منها: الجوهر أو الطبيعة (φύσίς و ουσία)؛ الحالة والصورة (ὁμοιώμα و εἰκών). يُستبعد المعنى الأول بسبب التعبير "صورة عبد" لأنّ العبوديّة ليست حالة طبيعيّة إنّما حالة إجتماعيّة يمكن تغييرها. من الممكن أن يولد الإنسان عبدًا، ولكن هذه الحالة لا يمكنها أن تشكّل ماهيّة الإنسان. إضافةً إلى ذلك، ما تتحدّث عنه الآيتان ٧ ج و٧د لهو تشابهٌ مع كلّ البشريّة. أمّا في ما يخصّ المعنيين الباقيين فإنّهما لجائزان لأنّ "الصورة" (μορφή) و"الشبه" (ὁμοίωμα) متوازيان، وكليهما يدلّ على الظهور المنظور لحقيقةٍ ما غير منظورة. في عصر بولس كان هذا التعبير يعيد الشكل المنظور لشيءٍ ما أو لكائنٍ ما، وكان يُستعملُ في الغالب للتكلّم عن الطفل الذي يشبه والديه. راجع:

C. A. WANAMAKER, "Philippians 2.6-11: Son of God or Adamic Christology?", *NTS* 33 (1987) 183.

(٩) إن ترجمة هذا التعبير لصعبة جدًّا إذا أخذنا بعين الاعتبار الترجمة السبعينيّة والمفهوم اليهوديّ للصورة. راجع:

M. BOCKMUEHL, "The Form of God (Phil. 2: 6). Variations on a Theme of Jewish Mysticism", *JTSNS* 48 (1997) 1-23.

(١٠) نشير هنا إلى المعاني العديدة التي يحملها الاسم "غنيمة" (ἁρπαγμός): في صيغة المعلوم: سرقة، إختلاس؛ في صيغة المجهول السلبي: فريسة، الشيء المختلس؛ صيغة المجهول الإيجابي: إستبقاء الشيء إذا كان قد اقتُنيَ، أو اقتناؤه إذا لم يُقتنَ بعد. المعنى الأوّل في صيغة المعلوم لا يمكنه أن يكون معقولاً لأنّ المسيح لا يمكنه أن يغتصب ما يقتني، أي الحالة الإلهيّة. كذلك المعنى في صيغة المجهول السلبي لأنّه يتبع المعنى الأوّل. أمّا المعنى الثالث في صيغة المجهول الإيجابي فإنه يتطابق تمامًا مع المعنى الموجود في النصّ: الشيء الذي يقتنيه المسيح هو سيادته على الخليقة؛ هو الذي كان بإمكانه أن يستعمل هذه السيادة، رفض أن يمارسها، لذلك رفعه الله مكافأةً على إخلائه وطاعته. راجع:

N. T. WRIGHT, "ἁρπαγμός and the Meaning of Philippians 2: 5-11", *JTS* 37 (1986) 345.

(١١) J. CARMIGNAC, "L'importance de la place d'une négation: ΟΥΧ ΑΡΠΑΓΜΟΝ ΗΓΗΣΑΤΟ (Philippiens 11.6)", *NTS* 18 (1971-72) 131-166.

(١٢) Cf. G. FEE, *Paul's Letter to the Philippians* (Grand Rapids. Michigan 1995) 210, note 78.

٣. ١. ٢ التنازل والطاعة (آ ٧ج-٨)

ἐν ὁμοιώματι ἀνθρώπων γενόμενος، "لمّا كان في شبه الناس": ماذا يعني بولس بقوله "شبه الناس" أو "في مظهرٍ كإنسان"؟ هل يريد أن يقول، رغم تجسّده، يبقى المسيح مغايرًا للناس؟ إنّ آ٧ج تعرضُ حقيقة التجسّد وآ ٧د تبيّن كيف أنّ الجميع لم يتعرّفوا على المسيح إلاّ من خلال مظهره الإنسانيّ. فعبارة "في شبه الناس" لا تعني الشَبَه فقط إنّما تدلّ على حقيقة تجسّد المسيح. أبعد من الإشارة إلى ما يتمتّع به المسيح ولا يتمتّع به الإنسان، إنّ تعبير "في شبه الناس" يشير إلى أنّه، على مستوى التجسّد، شابه المسيح الإنسان في كلّ شيء ما عدا الخطيئة. فالمسيح عاش ككلّ إنسان: تعلّم، أكل، نام، تكلّم، صلّى، عَمِلَ، إلخ.

καὶ σχήματι[13] εὑρεθεὶς ὡς ἄνθρωπος، "وظهرَ في مظهرِ إنسان": إنّ إسم المفعول المجهول، εὑρεθεὶς، "ظاهراً"، يشير إلى سلوك المسيح الذي كان يُرى من منظار بقيّة الناس. تُعطي آ ٧د إثباتًا أنّ سلوك المسيح لم يفترض أن يكونَ إنسانًا غير طبيعيًّا، لا بل كان خاضعًا لشرائع إنسانيّتنا الطبيعيّة، العقليّة، والثقافيّة.

ἐταπείνωσεν ἑαυτὸν[14]، "واضع ذاته": لتواضع المسيح معنيان: واحدٌ إيجابي من خلال علاقته مع الله، وآخر سلبي، في نظر الناس، بسبب الموت على الصليب. يعيدنا فعل ταπεινόω، "واضع"، إلى النشيد الرابع لعبد يهوه المتألّم (أش ٥٢: ١٣-٥٣: ١٢) حيث نقاط التقارب بين النصّين عديدة:

١. الله أراد أن يعلي عبده لأنّه واضع نفسه
٢. التقارب اللغوي بين فل ٢: ٧ (δοῦλος) وأش ٥٣: ١١ (πολλὶς، δουλεύειν، وكذلك بين فل ٢: ٨ (ἐταπείνωσεν ἑαυτὸν) وأش ٥٣: ٨ (ἐν τῇ ταπεινώσει)

لكن هناك أيضًا نقاطُ اختلافٍ:

١. في فل ٢: ٦-٨ ينقص الكلام عن الخلاص النهائي الذي ينتج عن الإخلاء.
٢. في فل ٢: ٦-٨ هو المسيح نفسه الذي أخلى ذاته إراديًّا، بينما في أش ٥٢: ١٣ وما يلي من آيات، فهو الله الذي واضع عبده.

فإن كان لا يمكننا أن نبرهن بالكامل تأثّر فل ٢: ٦-١١ بنصّ أش ٥٢: ١٣-٥٣: ١٢، فعلى الأقلّ يمكننا أن نرى تقاربًا في موضوع الإخلاء والإعلاء.

γενόμενος ὑπήκοος μέχρι θανάτου، "مطيعاً حتّى الموت": يُبنى إخلاء المسيح على طاعته التي دامت حياةً بكاملها. لذلك لا يمكننا أن نترجم النصّ اليوناني بـ"صار مُطيعًا حتّى الموت"، لأنّ هذه الترجمة تفترض التفكير بأنّ المسيح لم يكن طائعًا من قبل، إنّما صار طائعًا بطريقةٍ تدريجيّة أو في وقتٍ معيّن. وما يثبت ذلك هو إسم المفعول γενόμενος الذي يُترجم بصيغة الحاضر بدل الماضي ليعبّر عن تزامن الطاعة بين الماضي والحاضر. فطاعة المسيح إذًا مستمرّة ولا تبدأ في وقتٍ معيّن من الزمن.

θανάτου δὲ σταυροῦ، "الموت على الصليب": تبدأ آ ٨ج بالاسم نفسه (θανάτου، الموت) الذي انتهت به آ ٨ب[15]. هذه الصورة الأدبيّة تهدف إلى تبيان الموت على الصليب كصورةِ إذلالٍ متجاوزةِ الحدّ، لأنّ الذي ماتَ مذلولاً هو الإله الذي تخلّى عن سيادته وكلّ مجده إلى أقصى حدّ.

(١٣) الاسم σχῆμα، "مظهر" يعني الشكل الخارجيّ والظاهر للشيء أو للشخص.

(١٤) يُشيرُ الفعل ταπεινόω، "واضع"، بشكلٍ عام إلى معنيين: إيجابي (يدور حول الصلاة والعبادة والسجود لله)، وسلبي (بمعنى إذلال الآخر).

(١٥) هذا الترداد للاسم نفسه في نهاية آية وبداية أخرى، أو ترداد الاسم في الآية نفسها بشكلٍ وثبةٍ مترددّة يسمّى *anadiplose*. راجع:
J.-N. ALETTI - M. GILBERT - J.-L. SKA - S. DE VULPILLIERS, *Vocabulaire raisonné de l'exégèse biblique*, Les mots, les approches, les auteurs (Paris 2005) 94.

٣. ٢ إعلاء المسيح (آ ٩-١١)

διὸ καὶ ὁ θεὸς αὐτὸν ὑπερύψωσεν، "فلذلك رفعهُ الله جدًّا": ترتبط المبادرة الإلهيّة بإخلاء المسيح لذاته، خاصّةً وأنّ الإخلاء تتبعه الطاعة. المسيح لم يُخلِ ذاته ليحصل على المجد، ولكنَّه أخلى ذاته كي يستطيعَ أن يُطيع[١٦]. يتردّد صدى الفعل ὑπερυψόω[١٧]، "رفَعَ جدًّا"، في أضداده: ὑπήκοος، "واضع" (آ ٨أ)، وἐταπείνωσεν ἑαυτόν، "أخلى ذاته" (آ ٧أ). ليس ذلك وحسب، فإنّ بداءة الفعل ὑπερ ὑπερυψόω، أي ὑπερ، تعني أنّ حالة الإعلاء هي الحالة القصوى من المجد التي يمكن الوصول إليها. وما يؤكّد ذلك هو ترداد هذه البداءة في نهاية آ ٩، "الذي يعلو كلَّ اسمٍ". هذا لا يعني أنّ المسيح فقد ألوهيّته ليعود ويستعيدها، إنّما نتيجةً لحالة الإخلاء، التي جعلته يتخلّى عن سيادته ومجده، وهبهُ الله المجد الأسمى.

καὶ ἐχαρίσατο αὐτῷ[١٨] τὸ ὄνομα τὸ ὑπὲρ πᾶν ὄνομα، "ووهبه الاسمَ الذي يعلو كلَّ اسمٍ": الاسم (τὸ ὄνομα) لم يُعطَ فورًا للقارئ لأنّ الأهمّ هنا هو حالة المجد التي تفوق كلَّ شيءٍ وكلَّ مخلوق، أمّا الاسم Ἰησους، "يسوع"، فيُعطى في آ ١٠ التي تتبع.

ἵνα ἐν τῷ ὀνόματι Ἰησοῦ πᾶν γόνυ κάμψῃ، "لكي تجثو باسم يسوع كُلُّ رُكبةٍ": الركبة (آ ١٠أ) واللسان (آ ١١أ) هما عضوان يعبّران عن دور الخليقة: الركبة للسجود، واللسان للاعتراف. هذا الدور للخليقة يردّد صدى ما ورد في الآيات ٦-٨ التي تصف المسيح المطيع. لكنَّ الأدوار الآن تنعكس: ما كانَ إخلاءً للمسيح في الآيات ٦-٨ أصبح إعلاءً في آ ٩-١١، والخليقة في علاقتها الكاملة بالمسيح هي التي عليها الآن (آ ١٠-١١) أن تطيع وتخضع. ولا يمكن لهذه الخليقة أن تحصل على هويّتها الحقيقيّة، إلاّ من خلال السجود (الركبة المنحنية) والإعلان (باللسان). بالتالي، عند هذا المنعطف من النشيد، يصف بولس المسيح مثالاً للخليقة التي عليها أن تقتدي به في إخلاء ذاته وطاعته حتّى يمكنها أن تحصل على هويّتها الجديدة.

ἐπουρανίων καὶ ἐπιγείων καὶ καταχθονίων، "مَن في السماءِ وعلى الأرض وتحتَ الأرض": هذا الثلاثي الذي توصف من خلاله كلّ الكائنات يُشيرُ إلى الخليقةِ بكاملها دون استثناء.

καὶ πᾶσα γλῶσσα ἐξομολογήσηται، "ويعترفَ كلُّ لسانٍ": يستعمل مار بولس هنا استشهادًا من نبوءة أشعيا، لكنّه يستعمل للمسيح فقط لقب Θεός الذي يعني "الربّ" أو "السيّد"، لأنّ لقب Θεός الذي يستعمله أشعيا يُحتفظ به فقط لله الآب لعدم الوقوع في شَرَكِ تعدّد الآلهة[١٩].

فل ٢: ١٠-١١	أش ٤٥: ٢٣
لكي تجثو باسمِ يسوع كلُّ رُكبةٍ مَن في السماءِ وعلى الأرضِ وتحتَ الأرض ويعترفَ كُلُّ لسانٍ أنّ يسوعَ المسيح هو الربّ (κύριος)	إنّها لي تجثو كُلُّ رُكبة ويَعترفُ كُلُّ لِسانٍ للربّ[٢٠] (τῷ Θεῷ)

(١٦) إذا كان المسيح قد أُذِلَّ ليحصلَ في النهاية على المجد، لما أمكنه، في الواقع، أن يُخلي ذاته. راجع:
P. T. O'BRIEN, *The Epistle to the Philippians* (Grand Rapids, Michigan 1991) 234.

(١٧) يُستعمل هذا الفعل في الترجمة السبعينيّة دائمًا لله الممجَّد إلى أقصى درجات المجد. تدلّ آ ٩، بطريقةٍ غير مباشرة، على الله الذي يُمجد المسيح بالمجد الذي يتمتّع به هو نفسه، أي أنّه يساويه بنفسه.

(١٨) الاسم يدلّ على هويّة الإنسان. وتعبير "ووهبه الاسم" تعني أنّه وهبه كيانًا جديدًا.

(١٩) كان تعدّد الآلهة في أيّام بولس رائجًا في الأوساط الوثنيّة. لذلك يحتفظ بولس في رسائله بلقب Θεός لله الآب، ويطلق على المسيح لقب κύριος الذي كان يمكن إطلاقه في تلك الأيّام حتّى على الناس (الأمبراطور، وكذلك كلّ من كان معلّمًا، أو كلّ من كان يُنصَّبُ على العرش). راجع:
D. HÄUSSER, *Christusbekenntnis und Jesusüberlieferung bei Paulus* (WUNT 210; Tübingen 2006) 285.

(٢٠) في الترجمة العربيّة لا يوجد البديل كما في اللغة اليونانيّة (Θεός/κύριος)، فكلا الاسمين يُترجمان بـ"الربّ".

ὅτι κύριος Ἰησοῦς Χριστὸς، "أنّ يسوع المسيح هو الربّ": اللقب ليس "المسيح" إنّما "الربّ"، لأنّ "المسيح" تابعٌ لاسم العَلَم "يسوع"[٢١].

εἰς δόξαν θεοῦ πατρός، "لمجد اللهِ الآب": إنّ سيادة المسيح لا تجد معناها إلاّ إذا قادت إلى تمجيد الله الآب، لأنّ كلّ شيء يبدأ به وإليه ينتهي. هذا ما يُشيرُ إليه التضمين بين الآيَتَين ٩ و١١ حيث الأولى تبدأ بـ"الله" ὁ θεός، والثانية تنتهي بـ"الله" θεοῦ. بالرغم من اتّحاد المسيح بالله الآب، فإنه هو الذي يحمل المؤمن على تمجيد الله.

٤. بعض الأفكار اللاهوتيّة

٤. ١ الموت على الصليب

إنّ موت المسيح على الصليب، في هذا النصّ، لا يُشير إلى آلام المسيح الجسديّة، ولا إلى دور الآلام الخلاصيّة، أي موت المسيح من أجلنا، بل إلى الدرجة القصوى في الطاعة التي تصف الدور المسيحانيّ الذي أراد المسيح أن يُظهِرَهُ. فتصبح بالتالي كريستولوجيا النصّ لاهوتيّة لا خلاصيّة يُعبَّر عنها بحركتين: تنازليّة (إخلاء: آ ٦-٨) وتصاعديّة (إعلاء، مجد: آ ٩-١١).

٤. ٢ إخلاء المسيح لذاته

إنّ هذه الكريستولوجيا التنازليّة لا يمكنها أن تُقرأ إلا على ضوء الإطار العامّ للنصّ (فل ٢: ١-١٨) حيث يجعل مار بولس من المسيح مثالاً للمؤمنين في الطاعة، ومن ثمّ في ٣: ١-٤: ١ يعطيهم مثله هو في التمييز والتفكير طبق "ما في المسيح يسوع" (٢: ٥). حتّى وإن كان النصّ سابقًا لبولس، فقد استعمله لهدفٍ معيّن، وهو إرشاد أهل فيلبّي: يجب أن يكون المسيح المثال الأعلى للمؤمن، وعلى هذا الأخير أن يقتدي به في سلوكه وحياته الجماعيّة، وما مثل بولس الخاص، الذي يتبع في ٣: ١-٤: ١، سوى معالم ملموسة لأهل فيلبّي لتحسين حياتهم المسيحيّة[٢٢]، لأنّهم ما عرفوا المسيح بالجسد، إنّما عرفوه من خلال بولس الذي بشّرهم به.

٤. ٣ سلوك المؤمنين الكريستولوجي

ليست المرّة الأولى التي يتحدّث فيها بولس عن الاقتداء بالمسيح[٢٣]، إنّما الجديد في هذا النصّ هو معرفة كيفيّة اقتناء السلوك والتفكير "الذي في المسيح يسوع"، والبحث عنه باستمرار وبإرادة حرّة غير قسريّة. وكأن بولس يقول لأهل فيلبّي: "لتكن فيكم جهوزيّة الإخلاء التي في المسيح يسوع"، أي، على المسيحي أن يشارك في حقيقة تجسّد المسيح اللاهوتيّة[٢٤]. المسيح في لاهوت بولس اختار سلوك الإخلاء الذي يرذله العالم. لم يختر هذا السلوك لأنّه غير قادر على الأفضل، مع أنّه الإله القادر على ممارسةِ سيادته وفرض ذاته، إنّما ليعطي الدفعَ بامتياز لمسيرة المؤمن: وحده من يعرف أن يتّضع يهبه الله المجد والكرامة.

خاتمة

إنّ ما أراد أن يبيّنه الرسول بولس في استعماله لهذا النشيد، هو أنّ المسيح تركَ للمؤمن مثالاً للاقتداء به. وقد استعمله بالتحديد في هذا الموقع من الرسالة لأنّ النشيد لا يُفهم إلا إذا وُضع في إطارِ العام، أي سلسلة الإرشادات التي تحضّ أهل فيلبّي على أن يكون فيهم "من التفكير ما في المسيح يسوع". هذا النشيد لا يتكلّم عن كيفيّة حدوث التجسّد، بل يصفُ

(٢١) التركيب هو نفسه كما في ١ كور ١٢: ٣؛ روم ١٠: ٩.

(٢٢) Cf. P. LAMARCHE, *Christ vivant*, essai sur la christologie du Nouveau Testament (LeDiv 43; Paris 1966) 26.

(٢٣) لقد تحدّث مار بولس قبلاً عن الاقتداء بالمسيح في روم ١٥: ٧؛ ٢ كور ٨: ٩.

(٢٤) Cf. M. MASINI, *Filippesi - Colossesi - Efesini - Filemone*. Le Lettere della Prigionia (Leggere Oggi la Bibbia 2.9; Brescia 1987) 106.

حالة المسيح المتجسّد الأرضيّة[٢٥]. هذا لا يعني أنّ المسيح تخلّى عن ألوهيّته ليعيش كإنسان، بل أنه أبى أن يتمتّع بما للألوهة من سيادة ومجد، وأخلى ذاته عائشًا مسلك الطاعة إلى أقصى الحدود حتّى الموتِ على الصليب. نتيجةً لتواضعه وطاعته، وهبه الله "الاسم الذي يعلو كلَّ اسمٍ، ناقلاً إيّاه من أقصى الاحتقار والإذلال إلى أقصى المجد. حالة المسيح الممجَّد هي نُقْطَةُ انطلاقٍ للخليقةِ في اقتفاءِ آثارِ خالِقها، طائعةً إيّاه بالركبةِ المنحنيَة ومعلنةً بلسانها سيادته عليها.

المراجع

ALETTI, J.-N., *Saint Paul. Épître aux Philippiens*. Introduction, Traduction et Commentaire (EB 55; Paris 2005).

ALETTI, J.-N. - GILBERT, M. - SKA, J.-L. - DE VULPILLIERS, S., *Vocabulaire raisonné de l'exégèse biblique*, les mots, les approches, les auteurs (Paris 2005).

BIANCHINI, F., *L'elogio di Sé in Cristo*. L'utilizzo della περιαυτολογία nel contesto di Fil 3,1-4,1 (AnBib 164; Roma 2006).

BOCKMUEHL, M., "The Form of God (Phil. 2: 6). Variations on a Theme of Jewish Mysticism", *JTSNS* 48 (1997) 1-23.

CARMIGNAC, J., "L'importance de la place d'une négation: OYX APΠAΓMON HΓHΣATO (Philippiens 11.6)", *NTS* 18 (1971-72) 131-166.

FEE, G., *Paul's Letter to the Philippians* (Grand Rapids, Michigan 1995).

HÄUSSER, D., *Christusbekenntnis und Jesusüberlieferung bei Paulus* (WUNT 210; Tübingen 2006).

HAWTHORNE, G. F., "The Imitation of Christ: Discipleship in Philippians", dans LONGENECKER, R. N. (éd.), *Patterns of Discipleship in the New Testament* (McMaster New Testament Studies; Grand Rapids, Michigan 1996) 168.

HERIBAN, J., *Retto φρονεῖν e κένωσις*. Studio Esegetico su Fil 2,1-5.6-11 (LAS; Roma 1983) 221.

KARRIS, R. J., A *Symphony of New Testament Hymns*. Commentary on Philippians 2: 5-11, Colossians 1: 15-20, Ephesians 2: 14-16, 1 Timothy 3: 16, Titus 3: 4-7, 1 Peter 3: 18-22, and 2 Timothy 2: 11-13 (Collegeville, Minnesota 1996).

LAMARCHE, P., *Christ vivant*, Essai sur la Christologie du Nouveau Testament (LeDiv 43; Paris 1966).

LOHMEYER, E., *Kyrios Jesus*, Eine Untersuchung zu Phil. 2,5-11 (SHAWPH 1927-28.4; Heidelberg 1928).

MASINI, M., *Filippesi - Colossesi - Efesini - Filemone*. Le Lettere della Prigionia (Leggere Oggi la Bibbia 2.9; Brescia 1987).

O'BRIEN, P. T., *The Epistle to the Philippians* (Grand Rapids, Michigan 1991).

RAHLFS, A. (éd.) *Septuaginta* (Stuttgart ²1979).

WANAMAKER, C. A., "Philippians 2.6-11: Son of God or Adamic Christology?", *NTS* 33 (1987) 179-193.

WRIGHT, N. T., "ἁρπαγμός and the Meaning of Philippians 2: 5-11", *JTS* 37 (1986) 321-352.

(٢٥) Cf. G. F. HAWTHORNE, "The Imitation of Christ: Discipleship in Philippians", dans LONGENECKER, R. N. (éd.), *Patterns of Discipleship in the New Testament* (McMaster New Testament Studies; Grand Rapids, Michigan 1996) 168.